

الإحسان إلى (الخدم)



1- الإحسان إلى (الخدم) في القرآن الكريم: أ- تناول الطعام معه حتى لا يشعر بميزتك عليه، وإنك تساويه في الإنسانيّة وإن كنت تستخدمه: قال تعالى على لسان موسى (ع): (فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدِ آنَسْنَا مِنَ السَّفَرِ نَآ هَذَا نَصَبَيْنَا) (الكهف/ 62). تأمل في استخدام ضمير الجمع: (آتِنَا) (غداءنا) (سفرنا)، فموسى (ع) لم يتعامل مع فتاه (أي مُستخدمه) بصفته نبيّاً وهو مجرد خادم، وإنّما تحدّث بلغة الجمع ليُشعر خادمه بإنسانيّته وإحسانه. ب- محادثته ومحاورته ومجالسته ومطالبة الرّأي معه: قال عزّ وجلّ على لسان موسى (ع) أيضاً: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْيَدْحَرِيِّنَ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبَيْنَا) (الكهف/ 60). إنّهُ يُفكّر بصوتٍ مسموع، ويعتبر فتاه رفيقاً له في سفره، فلا يكتفم عليه شيئاً بل يُطلعه على ما هو مُقبل عليه، وهذا إحسان آخر يُشعر الفتى أو الخادم بقُرب سيّده منه. ت- إعطاء الخادم حرّية التحدّث معك حتى لا يشعر بوجود حاجز للكلام والحوار بينكما: قال سبحانه على لسان فتى موسى (ع): (قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْكُوتَ وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذُكُرَهُ) وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْيَدْحَرِ عَجَبِيًّا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّآ عَلَيَّ آثَارَهُمَا قَصَصْنَا) (الكهف/ 63-64). لاحظ جوسّ الألفة ورفع الكفلة، فالخادم لا يجد حرجاً في الحديث مع سيّدة بلغة الجمع أيضاً، وإذا كان ذلك من حق

موسى (ع)، فإنَّ الخادم يستخدم الأسلوب نفسه، ممَّا يدلُّ على مدى إحسان موسى (ع) إليه، مما جعله يشعر بالحرِّية الكاملة، والملاحظ أنَّ القرار يقرُّ هذه اللّغة فيتحدّث بها أيضاً: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا) (الكهف/ 65)، والحال أنَّ الباحث هو موسى (ع)، والإشارة غنيّة لا تحتاج إلى توضيح. ث- أمره بما ليس فيه معصية □، حتى لا يشعر بالاستضعاف وأنّه واقع تحت ضغط سيِّده الذي يأمر وعليه أن يطيع: قال جلُّ جلاله على لسان امرأة العزيز: (وَلَدَيْنَا لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيْسَ جَنًّا وَلَا يَكُونًا مِّنَ الصَّاعِرِينَ) (يوسف/ 32). على اعتبار أنَّ يوسف (ع) كان فتاهاً (خادماً) بحسب ما أشارت إليه نسوة المدينة بقولهنَّ: (امْرَأَةٌ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا) (يوسف/ 30). وفي نفس المعنى، يقول سبحانه ناهياً عن إكراه الفتيات (الجواري والخادمت) على ممارسة البغاء ككسبٍ غير مشروع: (وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَيَّ الْبِغَاءِ إِنَّ أَرْدَنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَّغُوا عَرَصَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (النور/ 33). ج- الإحسان إلى الفتاة الخادمة (الجارية) بالزواج منها لإشعارها أنّها امرأة شأنها شأن بقية النِّساء، لا يُفرِّق سيِّدها بينها وبين نساءه الأخريات، وإذا لم تكن له زوجة فهي حليلته بحسب شرع □ وسنّة رسوله: قال عزّ وجلّ: (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكَحَ الْمُؤْمِنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ) (النساء/ 25). ح- تعليمهم واجباتهم الدينية، فهم خدمنا في تصريف شؤون المنزل، ولكنهم إخوتنا في □، لهم بدمتتنا حقوق غير الحقوق المالية: قال تعالى في دعوة يوسف (ع) الفتيتين السّجينين معه: (يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَرَأَيْتَ إِنِّي أَبْرَأُ بِأَبِي مُتَّفَعِرٍ قُونِ خَيْرٌ أَمْ اللَّاهُ الْوَاحِدُ الْفَهَّارُ) (يوسف/ 39). وإتاحة الفرصة لهم في أن يسألوا عمّا يجهلونه ويطلبون معرفته ممّا يتعلّق بحياتهم ومستوياتهم، ولذلك رأينا الفتيتين يسألان يوسف (ع) عن تأويل منامتهما بما عبّر عنه القرآن بالإستفتاء: (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) (يوسف/ 41). الأمر الذي قد يُستوحى منه حقُّ الخادم في طلب العلم. خ- الإستفادة ممّا يتمتّع أو يتميّز به الخادم من معرفة أو وجهة عند أناس آخرين، فذلك يُعزّز شعوره بالإحسان إليه وعدم استصغاره: قال تعالى على لسان يوسف (ع) للفتى الناجي: (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّزَّهَ نَاجٍ مِّنْهُمْ مَا أَذْكَرٌ نَّبِيٍّ عِنْدَ رَبِّكَ) (يوسف/ 42). 2- الإحسان إلى (الخادم) في الأحاديث والروايات: أ. تطييبُ خاطره بأنَّ □ تعالى سيرزقه خدماً ما في الجنة بعدد مخدوميه: قال رسول □ (ص): "أَيُّمَا مُسْلِمٍ خَدَمَ قَوْمًا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا أَعْطَاهُ □ٌ مِّثْلَ عَدَدِهِمْ خُدماً ما في الجنة". ب. إشعاره أنّ الخدمة ليست انتقاصاً للقدرة، فالمؤمنون خدمٌ بعضهم لبعض: قال الإمام الصادق (ع): "المؤمنون خدَمٌ بعضهم لبعض". قال الراوي: وكيف

يكونون خدماً بعضهم لبعض؟ قال: "يفيدُ بعضهم بعضاً". وفي هذا المعنى قال الشاعر:

الناسُ للناسِ من بدوٍ ومن حَـضَرٍ **** بعضٌ لبعضٍ وإن لم يشعروا خَدَمٌ تـ تحسيسه
بإنسانيّته قدر الإمكان أسوة بما كان يفعل رسول الله (ص) مع خادمه (أنس)، الذي يقول عن
تجربته في خدمة النبي الأكرم (ص). "خدمتُ رسول الله (ص) عشر سنين، ووالله ما قال لي أفلاً
قطاً، ولا قال لي لشيءٍ لِمَ فعلت كذا؟ وهلّلا فعلت كذا". بل يُروى أن أنساً أو خادماً
آخر خدم رسول الله (ص) لمدة طويلة، فسأله (ص) عن كيفية مكافأته، فطلب أن يدخل معه
الجنّة، فوعده (ص) بذلك، فما أعظمه من إحسان. 3- الإحسان إلى (الخادم) في الأدب: يُحكى
أن الإمام علي بن الحسين (ع) كان لا يسافر إلا مع رفقة (رفاق) لا يعرفونه، ويشترط عليهم
أن يكون من خدام الرّفقة فيما يحتاجون إليه، فسافر مرّة مع قوم فرآه رجل فعرفه،
فقال لهم: أتدرون من هذا؟ قالوا: لا، قال: هذا علي بن الحسين، فوثبوا إليه فقبّلوا
يديه ورجليه، فقالوا: يا ابن رسول الله! أردت أن تصلينا نار جهنّم لو بدرت إليك من يد
أو لسان، أما كنّا هلكنا، فما الذي حملك على هذا؟ فقال (ع): "إنّي سافرتُ مرّةً مع
قومٍ يعرفونني، فأعطوني برسول الله (ص) ما لا أستحقّ، فأخاف أن تعطوني مثل ذلك، فصار
كتمان أمري أحبّ إليّ!!" إن مفهوم الخدمة يأخذ أحد شكلين: الخدمة الإلزامية، وهي كعمل
الأجير الذي يوظّف نفسه في خدمة غيره، وهذا الذي ندعو إلى الإحسان إليه، والتخفيف من
شعوره بالمهانة، وأمّا الخدمة الطوعية، كما فعل الإمام علي بن الحسين (ع) فجميل بالإنسان
تعلّمها، لأنّها دليل التواضع، وقد ورد عن السيد المسيح (ع) قوله: "سيّد القوم
خادمهم"، ممّا يرتفع بالخدمة إلى مصاف السيادة! أمّا إذا اضطرت الظروف شخصاً للعمل
كخادم، فلا ينبغي أن يكون مُستخدمه عاملاً إضافياً ضاعطاً عليه في استنفاد طاقته،
وكأنّه اشتراه ولم يستأجره! 4- برنامج الإحسان إلى (الخادم): 1- التعامل مع الخادم
بكلِّ احترام ورأفة ورحمة: لا تهينه ولا تذلّه، ولا تسبّه، ولا تُعيّره، ولا تكلّفه ما لا
يطيق، وتعطيه الوقت الكافي لطعامه وصلاته وراحته. 2- أن تأكل معه في بعض الأوقات لتُشعر
نفسك بالتواضع، وتُشعره بكرامته، وهكذا كان الأئمّة من أهل البيت (ع) يُعاملون
مستخدميهم. 3- أن تُطعمه ممّا تأكل وتُلبسه ممّا تلبس، فلقد قال رسول الله (ص) كما يروي
أبو ذر: "أطعممُوهُم ممّا تأكلون، وألبسُوهُم ممّا تلبسون!" 4- محاولة تعليمه بما
يرتقي بشخصيّته، والاستفادة منه إن كان لديه ما ينفع غير الخدمة. 5- والأهم من ذلك كلاًه
إشعاره أنّّه أحد أفراد الأسرة، وإذا تحقّق ذلك فهو أرقى درجات الإحسان، وله من الآثار
الطيّبة ما يجعل الخادم مُخلصاً للعائلة مُضحياً من أجلها، مُتفانياً في خدمتها،
موضعاً لثقتها، شاكراً لها، وداعياً لها بالخير.